التمكين السيكولوجي للمرأة في الثقافة الابوية

أ.د/عزة خليل عبد الفتاح
أستاذ بقسم تربية الطفل
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية ، جامعة عين شمس، مصر
drazzakhalil@gmail.com

Received:13/10/2022
Accepted:27/10/2022
Published:31/10/2022

المستخلص :
يساهم انتشار الثقافة الابوية في العديد من المجتمعات عبر العالم في الانتقاص من فرص حصول النساء على كامل حقوقهن الإنسانية , وتحقيق المساواة مع الرجال في الفرص المتاحة ضمن المجتمع الواحد .من هنا تعتبر الثقافة الابوية عقبة في طريق تقدم النساء ونموهن .وعلى الرغم من الجهود المبذولة من قبل الدول على المستوى السياسي لتمكين المرأة ,الا ان هذه الجهود لا تحقق الوضع المأمول للمرأة , ولا التمكين الحقيقي لها ,وذلك بفعل سطوة الأعراف والتقاليد الابوية .وتلقي الورقة البحثية الحالية الضوء على مفهوم الثقافة الابوية والعوامل التي تقوم عليها ,وكيف تعمل هذه الأيديولوجيا على كبح تحرر المرأة , وتحقيق المساواة بينها وبين الرجل .كما ناقشت الورقة مفهوم " التمكين السيكولوجي , "وحددت ابعاده , وأساليب تنميته ,وإرساء مفهوم المساواة بين المرأة والرجل من منظور موضوعي ,بعيدا عن المنظور الابوي السائد في الكثير من المجتمعات الشرقية والغربية .

الكلمات المفتاحية : *التمكين – التمكين السيكولوجي – الثقافة الابوية – المساواة .*

Psychological Empowerment of Women in Parental Culture

Abstract:
The wide spread of patriarchal culture in many societies across the world, contributes in detracting women's opportunities in getting their humanitarian rights, and achieving equality with men in opportunities available within the same society. From this point of view, the patriarchal culture is considered as an obstacle in the face of women's development. Although there is a lot of efforts from states on political level for empowering women, these efforts don't achieve the expected position for women, nor achieving the real empowerment for her, due to the power of customs and traditions. The current paper sheds light on patriarchal culture concept, the factors assisting it, and how this ideology is working to restrict women's liberation and achieving equality between her and men. The paper also discusses the concept of psychological

empowerment, identified its dimensions, the ways of developing it, and laying the concept of equality between woman and man from an objective viewpoint, away from the patriarchal viewpoint prevalent in many eastern and western societies.

key words:
Empowerment – psychological empowerment – patriarchal culture – equality.

مقدمة :

تنتشر الثقافة الابوية في العديد من المجتمعات عبر العالم , ففي الشرق وحتى في الغرب تنتشر تلك الثقافة بدرجات واشكال مختلفة , مما ينتقص من فرص حصول النساء على كامل حقوقهن الإنسانية ,والمساواة مع الرجال في الفرص المتاحة ضمن المجتمع الواحد .

من هنا تعتبر الابوية هي العقبة الأولى نحو تقدم ونمو النساء , حيث يكون الرجل هو المتحكم , والمرأة في وضع التبعية .فمن حيث المبدأ , تشير الابوية الى هيمنة وسيادة الرجال على كل من الفضاء العام والخاص في المجتمع .من هذا المنطلق تستخدم الحركة النسوية مصطلح " الابوية "لوصف علاقات القوة ما بين الرجال والنساء , إضافة الى محاولة إيجاد جذور وأسباب تبعية النساء , وذلك توطئة لمواجهة هذه الثقافة المهددة لحقوق فئة كبيرة من افراد المجتمع ,بل انها تهدد المجتمع ككل .ان البحث حول الأصول الاجتماعية لهذه العلاقة هو جزء من الاستراتيجية السياسية لتحرر النساء .ودون فهم الأسباب , ووظيفة العلاقات غير المتناسقة ما بين الرجال والنساء , لا يمكننا تجاوز هذا الامر .

مشكلة الدراسة :

على الرغم من الجهود المبذولة على المستوى السياسي للدولة لتمكين المرأة من خلال توزيرها او تحديد عدد من المقاعد لها بالمجالس النيابية , الا ان هذه الجهود لا تحقق التمكين الحقيقي للمرأة ,لان الأعراف والتقاليد التي تقوم عليها الأيديولوجيا الابوية لا زالت تحول دون تحقيق التمكين الفعلي للمرأة . من هنا يمكن القول ان الوضع الرسمي للمرأة في تلك المجتمعات يعتبر افضل من وضعها الحقيقي او الواقعي .

تركز الورقة البحثية الحالية على إشكالية تحقيق التمكين الحقيقي للمرأة في ظل انتشار الثقافة الابوية الضاربة بجذورها في الكثير من المجتمعات الشرقية والغربية , ومنها الدول العربية .حيث يتم استغلال الاختلافات البيولوجية بين المرأة والرجل لتبرير انتقاص بعض الحقوق الاصيلة للنساء ,وتبرير عدم المساواة بين النساء والرجال .

كما توضح الورقة الفرق بين التمكين السيكولوجي وتمكين المرأة, وايهما يخدم مصلحة النساء في المجتمع ككل .وبالتالي ستركز الورقة البحثية أولا على مفهوم الابوية , يليه التركيز على إشكالية اللامساواة

بين النساء والرجال في المجتمع الابوي , وأخيرا تتم مناقشة مفهوم التمكين والمشكلات التي تواجه النساء لتحقيق التمكين , ومفهوم التمكين السيكولوجي وعلاقته بالصحة النفسية للنساء , وللمجتمع ككل .

مفهوم الابوية : Patriarchy

تشير كلمة " ابوي Patriarch "حرفيا الى القواعد الموضوعة من جانب الوالد او الاب .وفي الأصل كان هذا المصطلح يستخدم لوصف نوع محدد من الاسر التي يهيمن عليها الاب .فالإدارة المنزلية بصفة عامة في النظم الابوية ,التي تتضمن كل من النساء , والرجال الأصغر ,والأطفال , والعبيد , والعمالة المنزلية او الخدم ,كلهم يخضعون للقواعد التي يضعها هذا الرجل المسيطر .اما الآن فان هذا المصطلح يستخدم بصفة عامة للإشارة الى الهيمنة الذكورية , والى علاقات القوة التي من خلالها يسيطر الرجال على النساء , ولوصف أي نظام يتم من خلاله استبعاد النساء وابقائهن تابعات بأساليب متعددة .(S. Abeda, 2011)

وتعني التبعية" ان شيئا اقل أهمية من شيء آخر . (Cobuild2010:1559)"وطبقا لقاموس المتعلمين المتقدم Advanced Learner Dictionary تعني التبعية امتلاك قوة اقل او سلطة اقل من شخص آخر في مجموعة او منظمة ما .(Hornby2003:1296) "ويشير مصطلح " تبعية المرأة women's " subordinationللوضع المتدني للنساء ولافتقارهن للوصول والاستفادة من المصادر والقدرة على اتخاذ القرار...الخ , وللسيطرة الابوية التي تتعرض لها النساء في معظم المجتمعات .وبالتالي فان تبعية النساء تعني الوضع المتدني للنساء مقارنة بالرجال . ان مشاعر قلة الحيلة , والتمييز , واختبار الشعور بالتقدير المحدود للذات , وكذلك محدودية الثقة بالذات , كلها تساهم في تحقيق تبعية النساء .وعلى ذلك فان التبعية هي موقف تكون فيه علاقات القوة موجودة حيث يسيطر فيها الرجال على النساء .هذه التبعية تعتبر ملمح مركزي لاي شبكة علاقات تخدم الهيمنة بين الافراد .

وتعتبر الابوية بناءا أيديولوجيا يعتبر الرجال) الذين يمثلون الآباء (باعتبارهم متفوقين على النساء .ومن الجدير بالذكر ان القوانين الموجودة بالتقاليد المتوارثة في المجتمعات ,تعتبر اقوى من القوانين المكتوبة .فقد وجد ان العقبة الرئيسية في الكثير من الدول التي تهيمن عليها الأفكار الابوية التقليدية , هي عدم تقبل الرجال للتغيير في وضع المرأة ,وعدم تقبل فكرة المساواة ما بين الرجل والمرأة ,الى الدرجة التي تحدوا بالنساء المتعلمات في بعض المجتمعات للزواج بأجنبي لتجنب الزواج من رجل من نفس المجتمع المتشدد في أفكاره الابوية . وحتى في عدد من الدول الإسلامية , يكمن السبب وراء انتقاص حريات وحقوق النساء واللامساواة بينها وبين الرجل , الى هيمنة الرجل على تفسير النصوص الدينية لصالحه , والاقتصار على اعتبار ان الدور الرئيسي للمرأة هو دورها كأم وزوجة .(D. Melissa, 2007) كما ان القوانين المستمدة من الشريعة الإسلامية ,كثيرا ما لا يتم تطبيقها . وهناك الكثير من الأدلة على ان الحقوق الممنوحة للمرأة في القوانين المستمدة من الشريعة كثيرا ما لا يتم الزام الرجل بها في المجتمعات ذات الهيمنة الابوية .وعلى ذلك فان المناقشة القائلة بأن النساء " تابعات " طبقا للشريعة الدينية ليست

صحيحة تماما .بل العكس صحيح , ان انصار الابوية في المجتمع هم الذين يستخدمون الدين كأداة للحفاظ على هيمنتهم على النساء .(S. Abida, 2011)

وتشير الابوية بتعريفها الاعرض الى هيمنة الرجال على النساء والأطفال والاسرة ومأسستها , وامتداد الهيمنة الذكورية على النساء في المجتمع بعامة .هذا المفهوم يتضمن امتلاك الرجال للقوة في كل المؤسسات المهمة في المجتمع ,وان تحرم النساء من الوصول الى امتلاك هذه القوة .(Lerner, 1989:239)

في هذا الصدد يمكن ملاحظة كيف ان الأيديولوجية الابوية تبالغ في ابراز الاختلافات البيولوجية ما بين النساء والرجال للتأكيد على ان الرجال دائما يمتلكون السيادة ,او الأدوار الذكورية ,وان النساء دائما تابعات او يتسمن بالأنوثة .هذه الأيديولوجيا تعتبر من القوة بحيث ان الرجال عادة ما يتمكنون من تأمين الموافقة على استمرارها من جانب النساء اللاتي يقوموا يقمعهن .وهم يقومون بذلك من خلال مؤسسات المجتمع مثل المؤسسات الاكاديمية ,المؤسسات البيئية ,ومن خلال مؤسسة الاسرة .وكل من هذه المؤسسات تبرر وتدعم تبعية النساء للرجال .

ومن الجدير بالذكر ,أنه لا توجد ادلة تاريخية او علمية على وجوب تبعية النساء للرجال ,وعلى الرغم من ان هناك اختلافات بيولوجية ما بين النساء والرجال ,الا ان هذه الاختلافات المميزة لا يمكن ان تكون الأساس للتنظيم الهرمي الجندري الذي يصبح فيه الرجل هو المهيمن .وبالتالي فان الثقافة الابوية هي مصطنعة ولا ترتكز على أسس علمية او تاريخية ,وبالتالي لا يوجد أي شرح لأصول الابوية يعتبر مقبولا على الاطلاق .(S. Abida, 2011) وطبقا ل (1988) Mies فان مفاهيم الذكورة والانوثة ليست محددة بيولوجيا ,ولكنها بدلا من ذلك تعتبر نتيجة لعملية تاريخية طويلة .ففي كل حقبة زمنية يتم تحديد مفاهيم الذكورة والانوثة بشكل مختلف .

ففي النظم الابوية يسلك كل من الرجال والنساء, ويفكرون ,ويطمحون بصور مختلفة لأنه قد تم تعليمهم التفكير في الذكورة والانوثة بأساليب مختلفة .ويظهر النظام الابوي ويتقبل فكرة ان الرجال يمتلكون او يجب ان يمتلكوا مجموعة من الصفات او السمات , والنساء يجب ان يمتلكن صفات مختلفة .من امثلة هذه الصفات " الذكورية : "القوة – الشجاعة – عدم الخوف – الهيمنة – الكفاءة والميل للتنافس ,والعدوانية... الخ .اما الصفات" الانثوية " فهي تتضمن : الرعاية – العطاء – الحب – الخجل – الطاعة... الخ .وللحفاظ على تخصصية تلك الصفات , تعتمد المجتمعات الابوية على عملية التنشئة الجندرية للإبقاء على هذه المفاهيم ,لكن تلك الصفات التي نطلق عليها " ذكورية " او " انثوية " تعتبر في الواقع صفات وفضائل إنسانية ,ليست محددة بالنساء او الرجال حصرا .بل ان الصحيح هو وجوب امتلاكها من جانب كل من الرجال والنساء على حد سواء .

تبدأ التنشئة الاجتماعية والجندرية مبدئيا خلال فترة الطفولة , حين يتعلم كل من البنين والبنات السلوك الملائم لجنسهم . وتعتبر كافة مؤسسات التنشئة الاجتماعية مثل الاسرة , المؤسسات

الدينية , النظام القانوني والقضائي ,والنظام الاقتصادي , والنظام السياسي , والمؤسسات التربوية , ووسائل الاعلام , بمثابة أعمدة يقوم عليها بناء النظام الابوي .

في تلك المجتمعات تأخذ تبعية النساء اشكالا متعددة . فبغض النظر عن الطبقة الاجتماعية التي تنتمي اليها المرأة , تواجه النساء اشكالا متنوعة من التمييز , والاستخفاف ,الإهانة , التحكم , الاستغلال , القمع ,العدوان ,وكل ذلك قد يحدث في اطار الاسرة ,وفي أماكن العمل ,وفي المجتمع .S) .(Abeda, 2011ان التمييز ضد المرأة يشكل وضعا تبعيا للنساء وانتهاكا لحقوق الانسان الأساسية ,وهو أيضا عقبة في وجه تحقيق اهداف المساواة التي تسعى اليها النساء , كما يعتبر أيضا عقبة في وجه التنمية والسلام المجتمعي .

وعلى الرغم من الاهتمام بتمكين المرأة على المستوى السياسي , من خلال توفير النصوص الدستورية والقانونية التي تساوي بينها وبين الرجل , لكن التفسير الابوي للقانون يعمل على استمرار هيمنة الاتجاهات الابوية . أي يمكن القول بأن " الوضع القانوني "للنساء في الكثير من المجتمعات افضل من " وضعها الواقعي في المجتمع ."وبالتالي يمكن القول ان الابوية هي قضية ثقافية وليست قانونية او دستورية .

طبقا ل Walby (1990) تتكون الابوية من ستة عوامل تعتبر مصدرا للاستغلال , كما انها تعتمد على بعضها البعض في طبيعتها .هذه العوامل الست هي:

- العناية بالمنزل
- العمل مدفوع الاجر
- الدولة
- عدوان الذكر على الانثى
- الجنسية
- والمؤسسات الثقافية .

وتشير العناية بالبيئة المنزلية الى الاعمال اليومية والمتكررة التي تقوم بها المرأة لإدارة شئون المنزل والتي في نفس الوقت يتم فيها التقليل من شأن المرأة ومن اسهاماتها في إدارة المنزل , والنظر اليها نظرة فوقية .في المنزل , يعتبر الرجل بمثابة الطبقة الاقطاعية التي تصادر ملكية المرأة .اما العمل المدفوع الاجر فيصف العلاقات الابوية في مكان العمل التي تشير الى اسناد الوظائف الأسوأ للنساء ومن ثم اعطاءهن اجورا اقل مقارنة بالرجال . وبالنسبة للدولة كأداة من الأدوات الابوية , فتشير الى دعم الدولة لاهتماماتها الابوية , والعنصرية ,والرأسمالية , وذلك من خلال اختيار عدم التدخل او البطء في التدخل في الحالات التي تتضمن عدم العدالة فيما يتعلق بالمرأة .اما بالنسبة لعدوان الذكور على الاناث , فهو يشير الى المعاملة السيئة) العدوان والتمييز (الذي يلقى على المرأة كنتيجة للإيمان بنقصها وضعفها وقهرها .وكثيرا

ما ينتج عن ذلك عدوانا ضد المرأة يتم احتماله وتقبله بصورة منظمة من قبل المجتمع وأيضا من جانب رفض الدولة للتدخل لمواجهته .اما الجنسية sexuality فتعني في النظام الابوي , تبريرا لتجسيد او فلنقل تشيئ المرأة ونظرة الرجل لها باعتبارها أداة لإشباع الرجل .وأخيرا بالنسبة للمؤسسات الثقافية فإنها تمثل العلاقات الابوية في المؤسسات الثقافية والميل لتنظيم سلوك المرأة في الأماكن العامة .على سبيل المثال , تحديد ملابسها المناسبة في الإمكان العامة , وحرية حركتها في المجتمع.

وقد ناقش Hartman 1981 ان كل من اعمال المنزل والاعمال ذات الاجر تعتبر مواقع مهمة لاستغلال المرأة من جانب الرجال .ففي مجال الاعمال المدفوعة الاجر يستخدم الفصل الوظيفي من جانب الرجال المنظمون للإبقاء على إمكانية الوصول للوظائف ذات العائد الأفضل لأنفسهم على حساب النساء .اما على مستوى الاعمال المنزلية فالنساء يتحملن العبء الأكبر مقارنة بالرجال , حتى ولو كن يشغلن وظائف مدفوعة الاجر .ان هذين الشكلين من المصادرة او التجريد أيضا يعملان لتعزيز بعضهما البعض , حيث ان وضع المرأة المتخلف في الاعمال مدفوعة الاجر تجعل النساء اكثر حساسية عند الدخول في تنظيم حياتهن الزوجية , ولوضعها الاسري الذي يحرمهم من الاعمال مدفوعة الاجر .

من كل ما سبق يمكن تأكيد ان الابوية هي قضية ثقافية وليست قانونية او دستورية . ومن هنا فان التغييرات التي تحدث على مستوى القاعدة) الاسرة والمجتمع المحلي (اهم من تلك التي تحدث على مستوى القمة) المستوى السياسي والإداري .(من هذا المنظور يمكن للأسرة ان تلعب دورا كبيرا في إيجاد ابعاد جديدة وإعادة تشكيل للتنشئة الاجتماعية للأبناء .فاذا اصبح الرجال اكثر امتلاكا لسمات مثل الرعاية وتقديم العون , والتعاطف , والشفقة , فان هذا يجعل الرجال اكثر لطفا ودماثة ,واكثر إنسانية . واذا ما كانت سمات مثل الشجاعة , وعدم الخوف , والعقلانية , والكفاءة , تعتبر من السمات " الذكورية, " الا انها سمات إنسانية يجب ان يمتلكها كل من الرجال والنساء على حد سواء .

على ذلك يجب الابتعاد عن ازدواجية المعايير فيما يخص الاخلاق والقوانين . فالنساء والرجال تفرض عليهم نفس العقوبات , استنادا للقوانين الوضعية والشرعية .فاذا كانت النساء اقل عقلانية من الرجال , واقل امتلاكا لحق تقرير امورهن الشخصية) بحكم وجوب اطاعة الاب والزوج في تلك الأمور كما تدعي النظم الابوية , (فكيف يمكن تبرير تحملهن لنفس العقوبات في الشرائع الدينية والدنيوية؟

إشكالية المساواة بين المرأة والرجل في الثقافة الابوية :

من المهم التذكير بان البشر ,سواء اكانوا رجالا , او نساء ,او أطفالا ,لن يزدهروا حين يتم تمجيد الفوقية الذكورية , وفي نفس الوقت يتم تشويه السمات التي تعتبر تقليديا نسوية) مثل الاهتمام , وتقديم الرعاية, وتقدير العلاقات بالآخرين . (كما انه لا يمكن للبشر الازدهار حين يتم الضغط على الرجال لتبني سمات الفوقية الذكورية وكبت السمات التي تعتبر ضمن المفهوم الابوي" انثوية , "وحين يتم الضغط على كل النساء لتبني سمات انثوية تقليدية وكبت السمات" الذكورية "من المنظور الابوي . لذلك

فان ما يطلق عليه النسوية العلائقية relational feminism لديها الامكانية لتحسين حياة العديد من الأشخاص ,وليس فقط النساء ,حيث توفر المقاربة المستندة اليها فوائد لكل افراد المجتمع , وليس فقط النساء .

وتزعم Mary Becker (1999) بان وضع المرأة اليوم لا زال بعيدا عن المساواة , حيث ان المساواة يتم تقييمها من منظور الرجل أي من المنظور الذكوري .وان جزء من المشكلة هو في اخفاق النسوية , وبخاصة النسوية العاملة على احداث تغيير قضائي , في النظر الى الصورة الكبيرة :فالبناء الاجتماعي يعتبر متمركزا حول الذكور ,ومحدد من جانب الذكور ,ومهيمن عليه من جانب الذكور ,وان هذا البناء الاجتماعي يقدر الخصائص التي تعتبر بمنظور ضيق ذكورية . وبالتالي فان المقاربات النسوية التقليدية قد فشلت , حيث انها لا تملك الأدوات الجادة لتهديد هذا البناء الأيديولوجي الذكوري , لان هذه الاتجاهات تعتبر فارغة من حيث الجوهر ,ولا تقدم أي قيم غير متناسقة او متماشية مع القيم الابوية.

وتتبدى الهيمنة الذكورية على قضية المساواة في المقاربات التي تسعى لإثبات قيام المرأة بنجاح بالأعمال التي كانت تقليديا تذهب للرجل , فقد كانت هذه المقاربات الى حد كبير ملتزمة بمعايير الرجال في نجاحهم في العمل ,كما لو ان الاعمال والوظائف المختلفة لا يمكن تأديتها الا باتباع الأساليب " الذكورية " في إدارة العمل ,واستبعاد أي سمات " انثوية اثناء تأديتها .وهذا التوجه يعمل على المزيد من التكريس للثقافة الابوية .

كما ان النساء يلعبن عددا من الأدوار المهمة في الثقافة الابوية ,على الرغم من ان تلك الأدوار كثيرا ما تتنوع بتنوع العرق , او الطبقة الاجتماعية ,وغيرها من الاختلافات . وربما اكثر الأدوار أساسية هو استخدام المرأة والانوثة لتعريف او لتحديد معنى كون الفرد رجلا ومعنى الذكورة . فالرجال رجالا بالقدر الذي لا يكونون فيه نساء :أي ذكوريون ,مستقلين , غير حساسين ,غلاظ ,أقوياء ,عدوانيين ,يمتلكون القوة ,آمرين ,مسيطرين ,عقلانيين ,وغير عاطفيين .من ناحية أخرى فان " المرأة الحقيقة "يتوقع ان تكون معتمدة ,حساسة ,مطيعة ,ضعيفة ,داعمة ,معطاءة ,حدسية , عاطفية , ومتعاطفة " .المرأة الحقيقية "و " الرجل الحقيقي "يعتبران مختلفين بصورة أساسية في الثقافة الابوية .

ان اظهار أي من الرجال او النساء لصفات لا تتسق مع مجموعة الصفات المتوقعة منهم تجعل المجتمع يميل للدفع بها الى منطقة مظلمة , بحيث يبدو كما لو ان ما من احد يراها . فكل من الرجال والنساء يصبحن غير مرئيين تحت ظروف معينة في الثقافة الابوية .فالمرأة تصبح غير مرئية حين تقوم بشيء على نحو جيد , مثل " تربية الأطفال لكي يصبحوا بالغين اصحاء او حين يقدمن أفكارا عبقرية في اجتماع عمل . "اما الرجال , من ناحية أخرى ,فيصبحون غير مرئيين حين يكون سلوكهم غير مرغوب اجتماعيا بحيث يثير تساؤلات حول مدى ملاءمة تفضيل الذكور على النساء لإنجاز مهمة ما . من هذا المنظور يمكن القول بأن كل من الرجال والنساء متضررين من الثقافة الابوية .على سبيل المثال , يمكن ان يتأذى الرجال حين يتعلمون كبت عواطفهم وانكار حاجاتهم للتواصل والارتباط , والعلاقات الحميمة

بهدف تجنب معاقبتهم باعتبارهم" خانعين ,"وللحفاظ على السيطرة اللازمة لحماية انفسهم من سيطرة الرجال الآخرين .وهو الامر الذي تم تنشئتهم عليه في فترات مبكرة من حياتهم , واحيانا ما يطلق عليه شفرة الصبيان Boys Code حيث يتعلم الأطفال منذ بداية فترة المراهقة وربما قبلها ان الذكور لا يجب ان يعبروا عن مشاعرهم , وان المشاعر الوحيدة المقبولة والتي تنتمي الى الصفات الذكورية هي مشاعر الغضب . هذا لا يعني انهم لا يمرون بتلك المشاعر على الاطلاق ,وانما تعلموا في وقت مبكر كبتها وعدم التعبير عنها كما لو كانت غير موجودة) مثال :انا رجل والرجل لا يبكي ,الرجل لا يجب ان يظهر تأثره ولا ان يظهر اللين تجاه الآخرين ,فتلك سمات الاناث وليس الذكور .(

وبالتالي يمكننا القول بأن سبب اللامساواة بين الرجال والنساء ليس الاختلافات بينهما ولكن ما نصنعه نحن من هذه الاختلافات .فقد تكون النساء اقل سيطرة واكثر ميلا لتكوين العلاقات مقارنة بالرجال .كما ان الخبرات المادية والاجتماعية في العلاقات الحميمة , والحمل , والأمومة تميل لجعل النساء اقل سيطرة واكثر اعتمادية فيما بينهم مقارنة بالرجال .كل من هذه الخبرات تربط النساء بالآخرين بأسلوب لا يجعلها موازية تماما للرجال .

وترى (1982) Gilligan ان كل من الرجال والنساء مختلفين بشكل أساسي من الناحية البيولوجية . وان النساء يولين أهمية للعلاقات , والرعاية والاهتمام , والارتباط ,والحاجة لتقدير هذه الالتزامات والعلاقات .ومن ثم فان مصطلح " النسوية الثقافية "يستخدم لوصف عمل Gilligan وغيرها الذين يشددون على الحاجة لإعطاء قيمة اكبر للقيم الانثوية التقليدية مثل الرعاية والعلاقات .

ونتيجة لذلك فان النساء قد يقمن بنفس المهام التي يقوم بها الرجال ولكن بأساليب مختلفة , تولي فيها أهمية خاصة للعلاقات ,والتعاطف ,والمرونة الإدارية من اجل خلق بيئة عمل تراعي الفروق الفردية , والاختلافات الثقافية , والحاجات الشخصية , والحاجة للدعم النفسي للعاملين .مما يؤدي للحصول على نفس النتائج أحيانا ولكن بأسلوب مختلف .وهو امر يختلف عن الأسلوب الذكوري في إدارة العمل وفي الإنجاز الذي قد يتسم بالتنافسية والعدوانية بدرجة اكبر .

ان انكار إمكانية النجاح في ظل امتلاك الفرد لصفات تصنف تقليديا في الثقافة الابوية على انها انثوية , ويتم التسويق لأفكار توحي بان النجاح في الوظائف يتطلب تبني صفات شخصية ذكورية يضع ضغطا على النساء للعمل بأساليب تتناقض مع طبيعتها التي تهتم برعاية العلاقات الاجتماعية وتظهر الاهتمام والرعاية ,وذلك في سعيها لتحقيق المساواة بينها وبين الرجل ,واثبات انها يمكنها القيام بالعمل بنفس الكفاءة .

من هنا فان الحركة النسوية يتوجب عليها دعم المرأة من خلال المناداة بالقيم والفضائل الإنسانية للجميع , والقاء الضوء على خطورة تقسيم تلك الفضائل والصفات الشخصية الى انثوية وأخرى ذكورية ,كما يجب عليها ان تدعم أساليب المرأة المميزة في العمل ,والتصدي للضغوط التي تمارس عليها لكي تتبنى أساليب إدارية وأساليب عمل تتسم بالذكورية .

مفهوم التمكين : Empowerment

يقصد بمصطلح " التمكين " إعطاء السلطة , وإعطاء السلطة القانونية لشخص ما .وقد ركزت دراسات التمكين على المستوى العام على الدمج الاجتماعي ,ونمو المجتمع المدني ,وأساليب تنمية المشاركة التي اقترحت كآليات يمكن من خلالها تحقيق الدمج الاجتماعي ومن ثم التمكين .وبالنسبة للمرأة فان التمكين يعني احراز السيطرة على حياتها الخاصة فيما يتعلق بالأسرة ,والمجتمع المحلي ,والمجتمع بعامة .

من هنا يتم تعريف تمكين المرأة باعتباره " التحرير التدريجي للنساء من الأفكار الابوية , ونظم المعتقدات , والسلوكيات المرتبطة بالأبعاد الست للأبوية " التي سبقت الإشارة اليها من قبل .ان المعتقدات الابوية والممارسات الوالدية تسلب القوة من النساء .فالنساء قد يشعرن في ظل الثقافة الابوية انهن بلا حيلة ,حين يؤمن بأنهن غير قادرات على التواؤم مع المطالب الجسمانية والاجتماعية في بيئتهم . ان مبادرات التمكين من جانب الحركة النسوية , ومن جانب الدولة ,والمنظمات غير الحكومية ,قد تخلق ظروفا في صالح تمكين المرأة) من حيث تقليص المعتقدات , والممارسات الابوية بحقهن على المستوى الرسمي . (لكن النساء قد لا يزلن يعتقدن انهن غير ممكنات . وقد يكون لدى المرأة الحرية للتحرك وكسب قوتها ,ولكن عليها الخضوع لإدارة هذا المال من جانب من يمارس الدور الابوي في الاسرة .وعلى ذلك , هناك تمايزا ما بين خلق الظروف المهيئة لحدوث التمكين , وخبرة التمكين الحقيقي .

ان الظروف" المفضلة "و"المهيئة " لخلق التمكين تعتبر موجودة في البيئة ,ولكنها" خارج "المرأة . فقد تختار المرأة نتيجة لضغوط الثقافة الابوية , عدم الاستفادة من تلك الظروف المهيئة ,او توظيف تلك الفوائد بصورة غير تلك التي كانت ترغب بها ,وذلك تماشيا مع الثقافة الابوية المتجذرة في المجتمع) على سبيل المثال :قد تمنح قوانين الدولة الحق للنساء في الطلاق ,الا ان العديد من النساء قد يفضلن تحمل الإساءة الزوجية على طلب الطلاق ,لان وضعها في المجتمع كمطلقة سوف يكون أسوأ .كما ان المجتمع الاضيق المحيط بها من اسرة وأصدقاء يميلون لإدانة المرأة المطلقة على عدم نجاح حياتها الزوجية . (وبالتالي فان البعض) مثال (Preeti S. Rawat, 2004 :يطرح مفهوم التمكين السيكولوجي ,والذي يتحقق حين تساعد الظروف الممكنة للنساء على شعور المرأة بالتمكين .فهو على عكس التمكين التقليدي الذي يعتبر خارج المرأة , حيث يعتبر التمكين السيكولوجي بناء دافعي , موجود" داخل "المرأة .

التمكين السيكولوجي : Psychological Empowerment

تؤمن المرأة التي تشعر بالتمكين السيكولوجي انه يمكنها التواؤم بصورة مناسبة مع الاحداث , والمواقف ,والأشخاص الذين تواجههم . فالتمكين كبناء يتضمن في مفهومه الايمان بالقوة الكامنة داخل الفرد . وتشير القوة او التمكين من الناحية الدافعية الى الحاجة الداخلية للإرادة الحرة-self determination , او الايمان بالكفاءة الذاتية للفرد .وتحت هذا المفهوم ,يكون للقوة الأساس الخاص بها في اطار الموقف الدافعي للأشخاص الفاعلين .ان أي استراتيجية او تكنيك يقوي من الحاجة للإرادة

الحرة او الايمان بالكفاءة الذاتية لدى الأشخاص ,سوف يجعلهم يشعرون بالمزيد من القوة والتمكين . وعلى العكس من ذلك ,أي استراتيجية تضعف الحاجة لتوكيد الذات او الاعتقاد بالكفاءة الذاتية لدى الأشخاص ,سوف تزيد من الشعور بالافتقار للقوة والتمكين . هذه الخبرة بالتمكين يطلق عليها مصطلح " التمكين السيكولوجي . "ويتم تعريف التمكين السيكولوجي باعتباره بناء معقد يتكون من أربعة متغيرات الا وهي :

- المعنى
- الكفاءة
- حرية الارادة
- التأثير .

ويتضمن المعنى الارتفاع بمتطلبات دور الفرد ومعتقدات الفرد وقيمه وسلوكياته .اما الكفاءة او الكفاءة الذاتية فتعني الايمان بقدرات الفرد على أداء أنشطة العمل بمهارة . في حين تعني حرية الإرادة الإحساس بوجود خيارات للمبادرة بالفعل وتنظيم اعمال الفرد .اما التأثير فهو يعني الدرجة التي بها يمكن للفرد التأثير على النواتج الاستراتيجية , والإدارية , والعملياتية في العمل . وطبقا ل Spreitzer (1995) ان هذه المكونات الأربعة مجتمعة تعكس توجها فاعلا وليس سلبيا نحو دور الفرد في العمل .ويعني التوجه الفاعل او النشط , التوجه الذي يكون فيه الفرد شاعرا بالقدرة على تشكيل دوره او السياق الذي يعمل فيه , وان لديه الخيار للقيام بذلك .

وطبقا ل Spreitzer ايضا , هناك بعض الافتراضات حول تعريف التمكين السيكولوجي .أولا , التمكين ليس سمة شخصية مستمرة او ثابتة وعامة عبر كل المواقف ,ولكنها ,مجموعة من المعارف التي تشكلت من خلال العمل في البيئة .ثانيا ,التمكين هو متغير متصل) أي متصل يتضمن سمتين منفصلتين في كل طرف , (فالأشخاص يمكن النظر اليهم باعتبارهم اكثر او اقل تمكينا ,بدلا من رؤيتهم باعتبارهم ممكنين او غير ممكنين . ثالثا ,التمكين ليس بناء عالميا عاما عبر مواقف وادوار الحياة المختلفة , ولكنه محدد بالعمل والأنشطة .ان الافتراض الثاني والثالث الذي اعطاهما Spreitzer يدعمان النقاش حول تمكين المرأة بما يخلق السياق لخبرة التمكين السيكولوجي ,لكي يمتد الى البيئة المنزلية .وبالتالي فانه تم افتراض" ان تمكين المرأة) بهدف مواجهة الابوية (تزيد من خبرة التمكين السيكولوجي في البيئة المنزلية للنساء . "ويتضمن تمكين المرأة عوامل مثل التمكين الاقتصادي ,والثقافي ,والاجتماعي .وعليه ,فانه يخلق أيضا السياق الذي يمكن فيه للنساء اختبار التمكين السيكولوجي في أماكن العمل .

ان تمكين النساء في أماكن العمل وفي المنزل يبدو ان له تأثيرا اكثر انتشارا حيث انه يربط ما بين شعور النساء بالتمكين والشعور العام بطيب الحال . ولتحقيق ذلك يجب ان تعمل الدولة على تحقيق التمكين الذي من شأنه زيادة معدلات الصحة النفسية للنساء , ومن ثم يترتب عليه خلق بيئة اسرية تتوفر بها الظروف الملائمة لتحقيق الصحة النفسية للأبناء أيضا.

ولكن لكي يتم ذلك ,يجب فهم ان التأثيرات الأكثر عمقا التي تحدث تحولا اجتماعيا سوف تحدث في حالة ما تم تحدي وخلخلة مفهوم الابوية ,وتوفير الظروف الملائمة لتمكين النساء لكي يختبرن القوة والتمكين السيكولوجي . فمن خلال التصدي للأبوية , يمكن للنساء ان يختبرن التمكين النسائي والسيكولوجي في آن واحد.

وتظهر نتائج الدراسات الخاصة بتمكين النساء ان مستوى تعليم المرأة ليس له تأثير على تمكين المرأة .ولهذا السبب هناك نساء مستضعفات حتى في وسط النساء المتعلمات من الطبقة الوسطى ومن الطبقة العليا من المجتمع .هذه النتائج لها مضامين هامة بالنسبة للوكالات والمؤسسات وللدولة التي تستخدم التعليم كوسيط لتغيير وضع المرأة وتمكينها .(R., preeti S., 2014) في حين ان الجهود الأكبر يجب ان تبذل لتغيير الثقافة المجتمعية ومنظومة القيم التي تكرس الأفكار والايديولوجيا الابوية ,التي تؤثر على رؤية كل من النساء والرجال لأدوارهم ولتقديرهم لذواتهم , وايمانهم بحرية الإرادة كحق انساني يجب ان يتمتع به كل من الرجال والنساء على حد سواء .

التمكين السيكولوجي والصحة النفسية للمجتمع :

أعلنت منظمة الصحة العالمية ان الصحة النفسية الإيجابية تعتبر الأساس لطيب الحال و التوظيف الفعال لقدرات واستعدادات كل من الفرد والمجتمع , حيث عرفت الصحة النفسية باعتبارها حالة تسمح للأفراد بتحقيق قدراتهم , والتواؤم مع الضغوط الطبيعية للحياة ,والعمل بشكل منتج ومثمر ,وان يكون للفرد اسهام في مجتمعه .وبالتالي يمكن القول بأن مفهوم الصحة النفسية هو بناء معقد , يغطي كل من الوظائف النفسية والعاطفية من زاويتين منفصلتين : زاوية الاستمتاع بالحياة , التي تركز على الخبرات الذاتية بالسعادة والرضا عن الحياة ,والرؤية الفلسفية للسعادة , التي تركز على التوظيف النفسي وتحقيق الذات.

ان هذا المفهوم يتعامل مع ما نكون عليه فيما وراء الحياة ,ما الذي نعتبره مرغوبا , وما الذي يعطي الاتجاه لحياتنا , وان نشترك في السعي باتجاه السعادة . وهو يعني أيضا ان نكون محفزين وملتزمين باستخدام وتطوير افضل جوانب شخصياتنا , وبأساليب تتسق مع ذاتنا الحقيقية ,كما تتضمن مفاهيم السعي للتميز , التصرف بشكل أخلاقي , والاهتمام بأشياء تتخطى ذواتنا وتتخطى اللحظة الراهنة .

من هذا المنظور ,فان الصحة النفسية للمرأة ترتبط بالضرورة بشعورها بأنها مقدرة من جانب محيطها الاجتماعي , ومن ثم يتم دعم تقديرها لذاتها .كما ان مساهمتها في حركة تنمية المجتمع , وتوفر فرص العمل والنمو لها كما للرجل يساهم في شعورها بالمساواة . من ناحية أخرى فان تقدير اسهاماتها والاعتراف بها يساهم في نمو احساسها بطيب الحال .

ومن المفترض ان التمكين سوف يقود الى تقدير الذات الأعلى والمشاعر الإيجابية نحو الذات , ومن ثم يقود الى الشعور بطيب الحال , Well-being وهو مكون محوري من مكونات الصحة النفسية .

فهو يعني ان يكون الفرد مدفوعا وملتزما باستخدام افضل جوانب شخصيته وان يطورها ,وبأي أسلوب يتسق مع ذاته الحقيقية ,وذلك يتضمن مفاهيم مثل السعي للتميز , السلوك بشكل يلتزم بالفضائل ,وان يهتم الفرد بأشياء تتخطى ذاته ,وتتخطى اللحظة الراهنة .كما يعني من ناحية أخرى السعي للمتعة الشخصية ,والبهجة ,والراحة ,سواء من خلال الوسائل المادية , او من خلال الوسائل الوجدانية والمعرفية ,مثل الاستمتاع بالتفاعلات الاجتماعية او الاستمتاع بالفنون .وتؤيد دراسة Karatzias, Chouliara, Power, & Swanson (2006)هذه الافتراضات , حيث أظهرت الدراسة ان طيب الحال العام قد ارتبط بتقدير الذات والميل العاطفي .

ان الابوية تؤثر في اضعاف ومنع تمكين المرأة من خلال ثلاث عمليات) : أ (إستدخال الفكر الابوي من حيث تحديد الواجبات والالتزامات التي على المرأة القيام بها من المنظور الابوي) , ب (فرض الفكر الابوي من خلال القوانين , والعادات والتقاليد ,والطقوس المجتمعية او ما يسمى " الشفرة الاجتماعية " social codeمما يعزز من مفهوم النقاء والإخلاص الذي يجب ان تتسم بهما الزوجة , و) ج (دعم الدولة للسيطرة الابوية على النساء ومن ثم التأسيس للأبوية المحكمة ليس فقط كأيديولوجية او فكر ولكن كأمر واقع .(Chakravarti, 2004)

ويؤمن Lerner (1988) بأن الابوية تعتبر نظاما يتضمن الاثابة الابوية , الذي يتم فيه اثابة المرأة "المطيعة "من خلال إعطائها بعض الحقوق والمميزات .

وبالنسبة لتأثير مستوى تعليم المرأة على تحقيق التمكين لها أوضحت دراسة (Rawat, P. S. 2014)ان مستوى تعليم المرأة ليس له أي تأثير على عملية التمكين .أي انه على الرغم من الاعتقاد الشائع بأن التعليم يعتبر وسيط لتحسين ظروف النساء , الا ان الواقع الفعلي يظهر ان الأمور لا تسير على هذا النحو .وبالفعل هناك الكثير من النساء غير الممكنات من بين المتعلمات من الطبقة الوسطى والطبقة الأعلى من المجتمع .كما اشارت نتائج دراستها أيضا الى ان الاستقلال الاقتصادي لا يقود بالضرورة الى تمكين اعلى للنساء . ان المضامين التي تشير اليها هذه النتائج هو ان أي مبادرات من جانب الدولة او من جانب المنظمات لمعاونة المرأة على شغل الوظائف ,على امل ان هذا الامر سوف يؤدي الى تمكين المرأة ليس بالضرورة هو الحل الأمثل .فهذه المجتمعات يجب ان تضيف الى معادلة التوظيف والاستقلال الاقتصادي للنساء ,تغيير منظومة القيم في المجتمع الابوي .والعكس صحيح ,ان اهمال تغيير منظومة القيم ,سوف يؤدي الى مزيد من تكريس الثقافة الابوية ,على الرغم من مستوى تعليم المرأة وعلى الرغم من استقلالها الاقتصادي.

ويعتبر إعادة النظر في النظام التعليمي ,جانب آخر يجب الانتباه اليه) على اعتبار ان المؤسسات التعليمية تعتبر من أعمدة النظام الابوي ,حيث يتم الاعتماد عليها في تكريس الأيديولوجيا الابوية .(فالمراجعة الواعية للمحتوى المعرفي والثقافي للمناهج الدراسية , وبرامج اعداد المعلمين التي تمد النظام التعليمي بالمعلمين الذين يمتلكون الوعي المتطور , ومنظومة القيم الإنسانية البعيدة عن ازدواجية

المعايير ,والتمثيل المتوازن لأدوار كل من الذكور والاناث , في اطار من الاحترام والتقدير ,والانتباه لما يبثه المنهج الخفي hidden curriculum من أفكار قد تكون اكثر عمقا من تلك الموجودة بالمنهج الرسمي .

من ناحية أخرى حين يتيح سياق العمل للمرأة الحرية , والسيطرة ,فان النساء سوف يشعرن بالتمكين .ان التمكين في أماكن العمل وفي المنزل يبدو ان له تأثير اكثر انتشارا .فحين يكون للأنشطة التي تزاولها النساء معنى , وحين تعتقد النساء انهن يمتلكن الكفاءة في إدارة المواقف المختلفة في العمل كما في المنزل , فان النساء حينئذ يشعرن بالتحكم في أمور حياتهن ومن ثم يشعرن بالتمكين.

من هنا تؤكد Rawat, P. S. (2014) انه اذا تمكنت المنظمات من توفير سياسات صديقة للنساء , مثل المرونة في أوقات العمل ,وتوفير العمالة البديلة على سبيل المثال ,والأهم من ذلك العمل على تغيير منظومة القيم المرتبطة بالأيديولوجيا الابوية فان هذا من شأنه توفير الظروف الملائمة للتمكين السيكولوجي للمرأة , وما لم يتحقق ذلك ,فان التغيير سيكون على المستوى السطحي فقط ,أي على المستوى الرسمي فقط وليس على المستوى المجتمعي والثقافي .

ان التأثيرات العميقة سوف تتحقق فقط حين يتم هز مفاهيم الابوية التي سبقت الإشارة اليها , وفي نفس الوقت خلق الظروف الداعمة لتمكين النساء لكي تختبر النساء التمكين السيكولوجي .

التوصيات :

في الختام تخلص الورقة البحثية الحالية الى عدد من التوصيات التي يعتقد انها اكثر تأثيرا في تغيير الأيديولوجيا الابوية للمجتمع ,من حيث :

- النظر بموضوعية للاختلافات بين الرجال والنساء .ووضع توقعات موضوعية من النساء والرجال تنسجم مع الطبيعة الحقيقية لكل منهم ,وعدم فرض توقعات جامدة تتعلق بالذكورة والانوثة من المنظور الابوي
- مراجعة النظم التعليمية والتأكد من عدم بثها او تكريسها للأيديولوجيا الابوية سواء في المنهج الرسمي او من خلال المنهج المستتر المتمثل في تعاملات المعلمين مع التلاميذ على هامش أنشطة التدريس
- الدور الواعي والنشط للإعلام في تغيير الثقافة المجتمعية وتجسيد منظومة القيم التي تحترم حقوق الانسان بعامة وليس الرجال فقط
- توفير ظروف عمل مرنة وصديقة للنساء تسمح لهن بالعمل في بيئة تحترم خصائصهن الشخصية والاجتماعية المميزة ,من حيث المرونة في أوقات العمل ,وتوفير الخيارات المختلفة التي تناسب أسلوب المرأة في إدارة العمل .

Baecker, Mary (1999) Patriarchy and Inequality: Towerds a Substantive Feminism. THE UNIVERSITY OF CHICAGO LEGAL FORUM.

Chakravarti, U. (2004) Conceptualising Brahmanical patriarchy in early India: Gender, Caste, class and state in M. Mohanty, (Ed), Class, cast, gender. New Delhi: Sage Publications.

Donahue, Melissa (2007) " Transitioning from Patriarchal Society: Women's Rights and Gender Equality, "ESSAI:vol.5, Article 18. Available at: http://dc.cod.edu/essai/vol HYPERLINK

Gilligan, C. (1982) In a different voice. Psychological theory and women's development. Harvard University Press.

Hartmann, H. I. (1981) The unhappy marriage of Marxism and Feminism: Towards a more progressive union. Women and Revolution, (ed). Lydia Argent, London: Pluto Press., pp, 95-119.

Hornby A. S. (2003) Oxford Advanced Learner's Dictionary. Oxford University Press: New York.

Karatzias, A., Chouliara, Z., Power, K., & Swanson, V. (2006) Predicting general well-being from self-esteem and affectivity: An exploratory study with Scottish adolescents. Quality of Life Research, 15(7), 1143-1151.

Lerner, G. (1989) The Creation of Patriarchy. Oxford University Press: New York.

Mies M. (etal) (1988) Women: The Last Colony. Delhi : Kali for Women.

Spreitzer, G. M. (1995) Psychological empowerment in the workplace: Dimensions, measurement, and validation. Academy of Management Journal, 38(5), 1442-1465.

Sultana, Abeda (2011) Patriarchy and Women's Subordination: A Theoretical Analysis. The Arts Faculty Journal, vol 4, pp 1-18.

Rawat, Preeti S. (2014) Patriarchal beliefs, Women's Empowement, and general Well-being. VIKALPA. Vol 39, no2.

Walby, S. (1990) Theorizing patriarchy. Oxford, London: Basil Blackwell.